الترجمة العلمية في الجزائر

بقلم د. محمد شوشاني عبيدي

أستاذ محاضر بجامعة الوادي

mohammed-chouchaniabidi@univ-eloued.dz

انطلاقا من اهتمامي المستمر بترجمة العلوم وما يرتبط بها، وسعيا لمعرفة الأدوات الكفيلة بالنهوض بها في وطن يسعى القائمون عليه إلى أن يكون في مصاف الدول المتقدمة خاصة مع إعلان الدستور الجديد الذي عزز في مادته الثالثة دور الترجمة حيث تقول أن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية،.. وأن المجلس الأعلى للغة العربية على الخصوص مكلف بالعمل على ازدهارها وتعميم استعمالها في الميادين العلمية، والتكنولوجية، والتشجيع على الترجمة إليها لهذه الغاية." ولهذا السبب أحاول البحث في واقع الترجمة في الجزائر، وطرح مجموعة من الأسئلة سعيا للإجابة عنها في هذه الدراسة. هل تترجم العلوم في الجزائر؟ وهل يمكن القول بوجود ترجمة علمية مقارنة بالترجمات الأخرى؟ هل تملك الجزائر من المقومات ما يكفل لها أن تترجم إلى لغتها الوطنية العلوم والتكنولوجيا، وتسير بلغتها نحو تقديم ترجمات علمية تلقى اهتماما وطنيا وعربيا ودوليا؟ و هل يمكن الجزم بأن المجلس الأعلى للغة العربية قادر لوحده على القيام بالمهمة الموكلة له في الدستور، خاصة مع سرعة الإنتاج العلمي في العالم ؟

لقد أضحت الحاجة للترجمة أكثر من أي وقت مضى ، خاصة مع التدفق الكبير للمعلومات وضرورة الوصول إليها، وتوصيلها لأكبر عدد من المتلقين. مما فرض إلزامية توفر مترجمين متخصصين قادرين على مسايرة هذه الحركية، والتفاعل معها إيجابا. و يظهر هذا التفاعل في العديد من دول العالم التي أدركت ما للترجمة من قيمة، وما للمترجمين من دور في توفير المواد الخام للبحث العلمي، والتطور والرقي بالبلاد، فوفرت لها المدارس، والمعاهد، والمراكز والمؤسسات، حتى تسهر على تقديم مترجمين أكفاء وفاعلين: كما هو الحال في دول الاتحاد الأوروبي التي يضم بعضها كبريات مدارس الترجمة في العالم: كالمدرسة العليا للتراجمة و المترجمين ESIT في باريس، و كلية الترجمة ببلجيكا وغيرهما. ثم إن مقتضيات الثورة الثقافية والصناعية والزراعية التي عاشتها الجزائر في السبعينيات فرضت على جميع المؤسسات أن تستعين بالمترجمين لكي تواكب حركة التقدم، كما فرضت على المترجم أن يكون مندمجا كليا في هذه الحركة.

الترجمة العلمية في الجزائر

نظرا لقلة المعطيات، لا يمكن الجزم بواقع الترجمة في الجزائر، أو الحديث عن الترجمة العلمية بالأرقام بشكل مفصل. إلاّ القول بوجود بعض المعاهد والأقسام الجامعية التي تكوّن في الغالب مترجمين ذوو شهادات جامعية في الترجمة، دون الحديث عن تخصص بعينه. فلا توجد دراسة بيبليوغرافية تفصل النشاط الترجمي في الجزائر لغياب المراكز البحثية المهتمة بالمجال ، وإن وجدت بعض الدراسات الأكاديمية[1]، فإناّ نجدها لم تفصل كثيرا في الأمر إلا بعدِّ الأرقام لعدم تمكنها من كل المصادر، أو لأن الدراسات قديمة، ومختصرة جاءت على شكل تقارير إعلامية. [2] وهنا نتساءل: لماذا لا تتكفل المخابر البحثية المهتمة في الترجمة في مختلف الجامعات الوطنية بإجراء دراسات بيليوغرافية سواء موضوعاتيا (الترجمة العلمية أو الأدبية أو التاريخية...) أو زمنيا في فترات مختلفة من تاريخ البلاد أو جردا عاما للأعمال المترجمة حسب أسماء أصحابها.

يظهر من الجرد الذي قدمته بوخلف فايزة في بحثها عن "واقع الترجمة في الجزائر" إحصاء 83 عنوانا ترجم إلى العربية في مجال ترجمة العلوم [3] ، وكان ذلك بارزا في الفترة التي انتهجت فيها الجزائر التعريب سبيلا للتخلص من تبعية المستعمر والنهوض بالبلاد. فاشتهر منهم صلاح يحياوي في ترجمة كتب الفيزياء وخالد سعد الله في ترجمة كتب الرياضيات. كما أن الدراسة المذكورة كشفت تغلب ترجمة الكتب الأدبية والتاريخية عن الترجمات الأخرى، نظرا لأن أغلب الكتب الأدبية لكتاب جزائريين كتبوا بالفرنسية وترجمت أعمالهم إلى العربية، و لأن الكتب التاريخية المترجمة كتب تحدثت عن الثورة وأبطالها وبطولاتها.[4]

و لو راجعنا قليلا أرشيف البلاد لوجدنا بأنه في سنة 1980عزمت الدولة ممثلة في وزارة التعليم العالي على إنشاء مركز متخصص في الترجمة يسمى "المركز الوطني للترجمة والمصطلحات"، تسند له مهمة الترجمة من العربية وإليها، وتوليد المصطلحات، و إعداد المعاجم، وكل ما من شأنه أن يستقطب الدفعات المتزايدة من خريجي المدرسة العليا للترجمة، والذين ابتعدوا عن الترجمة، وتوجهوا في الغالب لمهن ووظائف أخرى خارج مجال اهتماماتهم أحيانا، سواء في الإعلام أو الإدارة أو في الأعمال الحرة. ولكن هذا المركز ولد ليموت، للأسف، ولم نتوصل إلى معلومات عنه سوى ما ذكره حنفي بن عيسى في تقريره السابق عن واقع الترجمة في الجزائر[5] والذي جاء فيه بأنه أحد الهيئات الأساسية التي أنشأتها الدولة لرفد نشاطها القائم على ضرورة التعجيل بتأميم اقتصاد البلاد، وادارتها، وعلومها وتعليمها.

أُسست المدرسة العليا للترجمة في الجزائر في 22 ماي 1964 مباشرة بعد الاستقلال، نظرا لإدراك الجميع لأهمية الترجمة. فكانت تقدم شهادتي تكوين: الأولى تعرف ب" أهلية الدراسات العليا للترجمان والمترجم"، و تقابل ليسانس ترجمة الآن، و الثانية: " أهلية الدراسات العليا للترجمان المتخصص" ، حيث لا ندري الأسباب التي حالت دون استمرارها في مختلف المعاهد والأقسام التي تدرس الترجمة في الوقت الحالي. إنّ تدريس الترجمة المتخصصة في ذلك الزمن يدل على اهتمام القائمين على المدرسة بتكوين كفاءات ترجمية متخصصة في ميادين علمية وتكنولوجية مختلفة كانت البلاد في حاجة إليها من جهة، كما يؤكد من جهة أخرى على درجة الوعي، و ودور الدولة في النهوض بالترجمة، وتعزيز مكانتها، ودورها في بناء بلد نهشته آلة الاستعمار الفتاكة التي نهبته، وسلبته ممتلكاته، وقيدته بقيود يصعب قهرها إلا بالتخلص من كل مظاهره وأولها اللغة.

مفتاح نجاح الترجمة العلمية في الجزائر

يقول صالح بلعيد رداً على من ينكر أن العربية لغة علمية، ويقول بأنها لغة الشعر فقط، ولا يمكنها أن تكون لغة العلم على الإطلاق، فيقول: " وما كان للعربية أن تنطلق إلاّ بجعلها تتواصل مرة أخرى مع اللغات الأخرى على جميع المستويات، وتوطيد المادة العلمية توطيدا معرفيا من جديد، بجعلها أداة من أدوات العصر ملموسة في المجالات العلمية والتكنولوجية على وجه الخصوص."[6] ثم إن غيرتنا واعتزازنا بلغتنا العربية الوطنية والرسمية، لا يتعارض مطلقا مع احترام اللغات الأخرى، والحث على تعلمها، فإن اقتنعنا بأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم، فيجب أن نضيف لها أيضا أنه بالإمكان أن نستفيد مما عندهم من خير.[7] ولأن الكثير من الباحثين حصروا أزمة الترجمة العلمية في المصطلح العلمي، راحوا يصفون اللغة العربية بصفات مخجلة كقولهم بأنها العائق أمام التطور، أو لا يمكننا التطور بها وغير ذلك من الصفات، وذلك الوصف عار من الصحة.

إن الأزمة كما قال شوقي جلال أزمة مجتمع وليست أزمة لغة، فاللغة تخضع للمجتمع الذي بيده تطويرها وتطويعها لتساير مصالحه، وبيده أيضا مِعول هدمها، و ودفنها، وبالتالي القضاء على نفسه. ولإحداث التغيير المنشود، لابد للمجتمع من تغيير ذهنياته، وفكره، وسلوكه، ونظرته للحياة، وتقديسه للمعرفة العلمية وحرصه على لغته دوما. إن اللغة العلمية هي النشاط العلمي الذي يهيئ إمكانات تطويع اللغة.[8] والانسان النشط علميا يطوع لغته لتكتسب نشاطها وتولد المصطلحات المناسبة. لا شك أبدا أن نقل العلوم للغة الوطنية وتنشيط حركة الترجمة العلمية ونشر الثقافة العلمية تساهم كلها في نهضة علمية تشمل الباحثين والمترجمين والكتاب وجمهور المتلقين. ولكن من الضروري أن يسبق حركة الترجمة إحساس لدى المجتمع بالحاجة إليها، وتحديد سابق لنوعية المادة التي

تترجم لسد الحاجة، ووعي تام بالمشاكل التي تعرقل مسيرة التطور، والتي تسهم حركة الترجمة في إزالتها لتسريع التنمية، ودعمها بكل جديد يثريها ويدفع بها إلى الأمام. [9]

عوائق الترجمة العلمية في الجزائر

يظهر جليا بأن الترجمة العلمية في الجزائر قليلة جدا، أو تكاد تكون منعدمة إذا ما قارناها بدول أخرى، وذلك راجع للأسباب التالية:

1. عزوف المختصين العلميين عن الترجمة العلمية، نظرا لضعف المقروئية باللغة العربية من جهة، وضعف ربحية الكتاب العلمي المترجم من جهة أخرى.
2. غياب معاجم متخصصة موحدة، وإن وجدت فهي غير موزعة بالشكل الكافي على الجامعات والمدارس، أو حتى في المكتبات العامة . كما أن الموجودة لم تراع خصوصية المجتمع الجزائري الذي يميل إلى الترجمة من الفرنسية إلى العربية أو العكس. ثم إن أغلب المعاجم المتوفرة الآن تعتمد اللغة الإنجليزية لغة ثانية لأنها موجهة لبلدان المشرق العربي بالخصوص.
3. عدم ضبط لغة التدريس بالجامعة، ففي التخصص الواحد نجد جامعات تدرسه باللغة العربية وأخرى بالفرنسية وأحيانا بعض الجامعات باللغة الإنجليزية.
4. غياب سوق واضحة للكتاب العلمي، سواء المترجم أو المكتوب باللغة العربية، وطغيان الكتب الأدبية وكتب الطبخ ..على معارض الكتب والمكتبات مما صعّب تعامل دون النشر مع المترجمين من جهة، ومعاناة هؤلاء بحثا عمن ينشر ترجماتهم، أو حتى من يسوقها.
5. غياب قانون ينظم وضع المترجمين في الجزائر. حيث تكشف الدراسات أن وضع المترجم في الجزائر وضع متذبذب. فالمترجم الجزائري تراه موزعا بين عدة مجالات، يعمل تارة في التعليم، وتارة أخرى في الصحافة، وطورا آخر في الإدارة، وقد يحاول الجمع بين هذه الأنشطة المختلفة. [10] وهذه الأمور لها أثر سيء بطبيعة الحال على انتاجه من حيث المضمون ومن حيث السرعة في الإنجاز ومن حيث الاستقرار في النشاط.

إنّ الاهتمام بتكوين المترجمين والمترجمين المتخصصين بالتحديد، سواء بفتح تخصص الترجمة العلمية في مرحلة التدرج أو إنشاء مدارس خاصة بالترجمة المتخصصة يشرف عليها إضافة إلى أهل الترجمة علماء متخصصون شغوفون بتطوير اللغة العربية والنهوض بها. و لأن المترجم العلمي يجب أن تجتمع لديه عدة مواهب

على رأسها تمكنه من اللغة العربية، واللغة التي يترجم منها، وحصوله على ثقافة كافية لاستيعاب الموضوع، والتعبير عنه بسلاسة وبساطة. لذلك من الضروري الحرص على إعداد برامج تكوين متميزة تتكاتف فيها مختلف الهيئات الفاعلة و يسهر عليها خبراء ومختصون حتى لا تكون عرضة لأهواء البعض.

آفاق تطوير الترجمة العلمية في الجزائر

وبغية الخروج من هذا الوضع، وللعمل على تطوير الترجمة العلمية في بلادنا نقترح مايلي:

1. إعداد خطة وطنية محكمة للترجمة، تشترك فيها كل مؤسسات الدولة ذات الشأن، و ترتبط بالمجتمع وحاجياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويمكن تقسيمها على مراحل زمنية مختلفة في المدى القريب والبعيد. لا تأتي الترجمة العلمية " اعتسافا، ولا تخضع لاختيارات فردية أو عشوائية، وإنما رهن رؤية استراتيجية تنموية شاملة".[11]
2. اطلاق مشاريع معاجم مصطلحية في مختلف الميادين العلمية والتكنولوجية ، والعمل على تعميم استعمالها ونشرها. حيث إن الأمم لا تتقدم الآن بدون "استيعاب العلوم الأساسية وتوظيفها في الحياة الاجتماعية"[12] .
3. تحديد قوائم الكتب المراد ترجمتها دوريا والتكفل بحقوقها الأصلية، حتى لا تشكل عائقا أمام المترجمين.
4. إعداد قوائم سنوية بالإصدارات ذات القيمة العلمية، ووضعها في متناول الباحثين والعلماء والطلبة بالجامعات، والعمل على نشرها في أوساط المدارس والمؤسسات التعليمية.
5. إعادة بعث **المركز الوطني للترجمة** واعتماده كهيئة وطنية رسمية، وربطها بالرئاسة مباشرة. يؤكد محمد العربي ولد خليفة بأن " اقتناع أولى الأمر في بلادنا بأهمية الترجمة يبدأ بتوفير مؤسسة الترجمة، و رفدها بميزانية خاصة، وتمكين العلماء والخبراء من المختصين والمترجمين للإشراف عليها...مع ضرورة إعادة الاعتبار المادي والمعنوي للمبدعين في العلوم والفنون والآداب." [13]
6. الدعوة إلى انشاء **مؤسسة الجزائر للتقدم العلمي**، حيث تُخصَّص بها إدارة للترجمة والتأليف والنشر العلمي، تعمل على دعم المكتبة الوطنية بالمراجع والدراسات والمجلات باللغة العربية. مع ضرورة توفير الدعم المادي لها وجعلها **مؤسسة ربحية** في ذات الوقت. إن الترجمة من أجل التنمية، على قول حنفي بن عيسى، ترجمة تقوم على **تحديد الأولويات**، وتفرض وجود جهاز مختص بها على أعلى مستوى يقوم عليه ثلة من الباحثين والعلماء والمترجمين المتخصصين .

7. نشر الثقافة العلمية في الأوساط العامة وبين الأطفال خاصة. فالمجتمع المحب للعلم والعلماء اليوم يحتضنه ويقدس أهله، والطفل الذي ينشأ بين العلوم في صغره، يثمنها ويعتكف على بلوغ أعلى مراتبها في كبره.
8. ضرورة الترجمة إلى اللغة الوطنية، فهي اللغة التي يستطيع بها الباحث والطالب استيعاب المفاهيم العلمية والتكنولوجية بشكل أفضل، وترجمة المنتوج العلمي إليها يختصر على الطالب أشق مرحلة في التحصيل، ويوفر الوقت للجميع.
9. العمل على تعزيز تعليم اللغات الأجنبية قصد توفير مزدوجي اللغة في التخصصات العلمية ممن تشبعوا بروح الانتماء للغة العربية، وبذلك يعملون على تطويرها بالترجمة منها وإليها.
10. دعوة المترجمين لإنشاء اتحاد وطني للمترجمين و التراجمة، يكفل حقوقهم، ويضبط عملهم، ويطور نشاطهم.
11. تخصيص جائزة وطنية للترجمة العلمية يتنافس المترجمون عليها كل سنة بتقديم أعمالهم المتميزة في مجال الترجمة العلمية من العربية وإليها.
12. التحفيز المادي والمعنوي للمترجمين والتكفل بطبع أعمالهم ونشرها من خلال المركز الوطني للترجمة أو هيئة مشابهة.

وفي الأخير، وإجابة عن الأسئلة المطروحة سابقا، يمكننا القول بأنه لا توجد ترجمة علمية في الجزائر مقارنة بدول العالم الأخرى، والتي التفت للترجمة العلمية للغتها الوطنية، واعتبرتها عاملا من عوامل نجاحها. وليس انتقاصا من الترجمات الأدبية، ولكنها تطغى على كل الترجمات الأخرى، وكأن الأدب فقط وسيلة من وسائل العيش، وضامن من ضمانات التطور. لا يكمن العجز هنا في عدم وجود مقومات الترجمة العلمية، إذ تحتضن الجزائر بالعكس العديد من تلك المقومات، وعلى رأسها التعدد اللغوي واهتمام مختلف شرائح المجتمع بتعلم اللغات الأجنبية، إضافة إلى العدد الكبير من العلماء، والمترجمين، وخريجي معاهد الترجمة. ثم إن العديد الضئيل من الترجمات العلمية الموجودة الآن، لا يمكننا أن نصف بها وجود ترجمة علمية خاصة وأنها موجهة في الغالب للتعليم، وهي عبارات عن مبادرات ذاتية في الغالب من علماء وأساتذة جامعات.

أما المجلس الأعلى للغة العربية، فهو وإن اضطلع بتلك المهمة الكبيرة الموكلة له لخدمة لغة الضاد، وحمايتها، وتطويرها، فلا يمكن أن يتوزع نشاطه ليشمل مشاريع كبرى في الترجمة، دون أن يرفد

بمؤسسات أخرى على نحو المركز الوطني للترجمة الذي يسهر على ترجمة الإنتاج العلمي ونقله من العربية وإليها من جهة، ومؤسسة الجزائر للتقدم العلمي التي تعمل على نشر الثقافة العلمية وتعميم الترجمات العلمية في المدارس والجامعات وإيصالها للقارئ البسيط ضمن خطة استراتيجية للترجمة والثقافة العلمية.

كما لا يمكن الحديث عن الترجمة العلمية في الجزائر، دون إرادة سياسية فاعلة تعتقد جازمة أن أسباب نجاحها كامنة في لغتها. لقد أكد أنطوان برمان في مختلف كتبه، بأن ازدهار الترجمة في أي حضارة من الحضارات السابقة يقوم على إرادة سياسية تسعى للنهوض بلغتها، ولا تترجم إلا منها وإليها. كما أن ترجمة العلوم لا يقوم عليها الأديب أو البنّاء، وإنما المترجم المتخصص الذي إن لم تلتفت له معاهد الترجمة و أساتذتها في برامجها التكوينية عاجلا غير آجل، وتخصص له مشاريع تكوين متميزة ومكونين جاديين ، فإن الحال سيبقى على ما هو عليه.

الهوامش:

[1] بوخلف فايزة، الترجمة في الجزائر: الواقع والتحديات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة ، معهد الترجمة ، وهران ، 2015-2016.ص106.

[2] حنفي بن عيسى، واقع الترجمة في الجزائر، دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس ، 1985. ص ص 47-65.

[3] بوخلف فايزة، المرجع نفسه، ص ص59-91.

[4] المرجع نفسه، ص 107.

[5] حنفي بن عيسى، المرجع نفسه، ص ص 47-65.

[6] صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 2.

[7] محمد العربي ولد خليفة، كلمة رئيس المجلس في افتتاح الدورة، كتاب: أهمية الترجمة وشروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004. ص 16.

[8] شوقي جلال ، الترجمة في العالم العربي. الواقع والتحدي، المركز القومي للترجمة، مصر، . ص ص 244-246.

[9] محمد زرمان، **الترجمة في الوطن العربي**، كتاب: **أهمية الترجمة وشروط إحيائها**، ص 45.

[10] حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 52.

[11] شوقي جلال ، المرجع نفسه، ص 244.

[12] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[13] محمد العربي ولد خليفة، المرجع نفسه، ص 17.